مطرانية المنيا وأبوقرقاص

أطلب الضال وأسترد المطرود

مكاريوس

الأسقف العام

اســـم الكتـــاب: **وأطلب الضال وأستردّ المطرود**

المؤلـــــــف: مكاريوس، الأسقف العام.

الناشـــــــر: إيبارشية المنيا وأبوقرقاص للأقباط الأرثوذكس.

الطبعـــــــة: الثانية – أغسطس ٢٠١٤.

المطبعـــــــة: مطابع النوبار – العبور.

الغـــــــلاف: م/ مايكل مراد.

فصل الألـــوان: Levels.

العنـــــاوين: مجدي لوندي

رقم الإيـــداع : ١٠٨٢٢ / ٢٠١٢

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في مصر وسائر بلاد المهجر

نيافة الحبر الجليل الأنبا أرسانيوس

مطران المنيا وأبوقرقاص

وأطلب الضال وأستردّ المطرود..

«لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا. كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ. وَأُخْرِجُهَا مِنَ الشُّعُوبِ وَأَجْمَعُهَا مِنَ الأَرَاضِي، وَآتِي بِهَا إِلَى أَرْضِهَا وَأَرْعَاهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَفِي الأَوْدِيَةِ وَفِي جَمِيعِ مَسَاكِنِ الأَرْضِ. أَرْعَاهَا فِي مَرْعًى جَيِّدٍ، وَيَكُونُ مَرَاحُهَا عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الْعَالِيَةِ. هُنَالِكَ تَرْبُضُ فِي مَرَاحٍ حَسَنٍ، وَفِي مَرْعًى دَسِمٍ يَرْعَوْنَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ.»

(حزقيال ٣٤: ١١-١٦)

الخادم عادة ما يقع تحت تأثير:

١) العدد.
٢) الزمن.
٣) المستوي.

العدد:

عادة ما تستهوي الخادم الأعداد الكبيرة، ويعتبرها دليلاً على أنه مقبول ومرغوب فيه ومؤثّر وله شعبية، ولاشك أن وجود أعداد كبيرة له بالفعل مثل هذه المدلولات، ليس من جهة تأثير الخادم أو المتكلِّم فقط، ولكنه دليل جيّد أيضًا على مستوى الخدمة في الكنيسة، والرعاة، والخدمات، والأنشطة التي تُقام فيها، وحُسن الاستقبال والمعاملة بشكل عام، يُضاف إلى ذلك النشاط الافتقادي بصوره المتعددة..

ولكن بينما يفرح الخادم بالعدد الكبير المتواجد، فإنه قد لا ينتبه إلى أن أضعاف هذا العدد غائب لأسباب كثيرة، ولذلك فإن

النجاح يُحسب بالكمّ الذي غاب وليس بالكمّ الموجود، إن الراعي الصالح ترك التسعة والتسعين وذهب ليبحث عن الضال الواحد (متى ١٨: ١٢ ولوقا ١٥: ٤)، فما بالكم إذا كان الموجود واحدًا مقابل تسعة وتسعين ضالاً.. هكذا كان القديس بولس لا يهدأ حتى يتمّم عمله: «وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.»(أعمال ٢٠: ٢٤).

إن الأسماء جميعها أمامه.. يتمخّض بها.. يفتكّر فيها.. إنها مثل أعضائه.. لابد وأن يكون الكل موجودًا وعاملاً، وليس فيه عطب.. الرأس هام، ولكنه بدون الجسم لا يحيا ولا يصله دم.. وهو رأس لأن هناك جسمًا، وإذا تأثّر أي عضو أو تألم فإن ذلك يُسبّب ألمًا في الرأس، فالإنسان لا يستطيع أن يُفكّر بشكل جيّد وهو متألم، بل أنه يُصاب بالحيرة والقلق إذا فقد الإحساس بعضو في الجسد (مثل أن لا يشعر بقدميه أو يده إذا ما تأثرت أعصاب هذه الأعضاء).. فماذا قال السيد المسيح نفسه: «حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ، وَلَمْ

يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهَلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ» و«إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا» (يوحنا ١٧: ١٢؛ ١٨: ٩). أمّا القديس بولس فقد عبّر عن هذه العلاقة الوطيدة بين الخادم ومخدوميه قائلاً: «مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟» (كورنثوس الثانية ١١: ٢٩).

إذاً جيد أن تهتم بالأعداد والأرقام، ولكن يجب أن يكون ذلك من قبيل التهاب القلب بخلاص كل أحد كمسئولية وخدمة تسلّمناها من الرب يسوع نفسه، وهو الأمر الذي تثقّل به القديس بولس: «الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلاً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (كولوسي ١: ٢٨)، أي ليكن هذا الاهتمام لحساب المسيح وملكوته، وليس إرضاءً لذواتنا ولحسابنا الشخصي، إن النجاح لحساب الشخص نفسه يجعله يفقدهم بعد حين، وبالتالي قد يفقدون طريقهم إلى الملكوت.. بل ليكن اهتمامه أن يسلّمهم إلي المسيح قائلاً: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ

أَكْمَلْتُهُ» (يوحنا ١٧: ٤-٩). ولقد كانت كلمات السيد المسيح هنا بمثابة نموذج للتقرير الذى يقدّمه الخادم لله.

الزمن:

وأمّا من جهة الزمن، فالخادم قد يقع تحت تأثير الرغبة باستجابة مخدوميه والثمار السريعة، ولكن ذلك لابد وأن يُؤخَذ بحذر أيضًا، لأن الثمر السريع يقلق مثل الطفرات التي لا يُقاس عليها، ولكن النمو البطيء المتدرّج يبعث أكثر على الطمأنينة، كما أن الخادم الذي يلقى البذار قد يحتاج إلى الانتظار طويلاً قبل أن تأتي البذرة بالثمر المتوقَّع.

وقد تعب الكثير من الآباء والخدام فى تفليح الأرض، وبذلوا جهدًا شاقًّا حتى أصبحت أرضًا صالحة، ولكن ربما غادروا دون أن يروا ثمرها، بينما جمع هذا الثمر آخرون.. وهو ما قاله السيد المسيح لتلاميذه: «آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ» (يوحنا ٤: ٣٨)، وكثيرون سمعوا الكلمة ولم يبدُ عليهم أي تأثير، ولكن فى زمن لاحق، حين أصبحت الظروف مهيئة، أعطت

البذرة ثمرًا وفيرًا، هنا يعطى الخادم المجد لله. الذى ينمّي، فـ«لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ السَّاقِي، بَلِ اللهُ الَّذِي يُنْمِي» (كورنثوس الأولى ٣: ٧). هناك أشخاص تاجروا في نهاية حياتهم، وهناك أشخاص لهم علاقة مع الله ولكن في الظل، والمهم أن يؤدي الخادم دوره فحسب.

المستوى:

وأمّا الوقوع تحت تأثير المستوى الاجتماعي أو الثقافي، فيميل الخادم إلى الطبقة الأرقى والأغنى دون غيرها (ربما لأن ذلك يسهّل مهمته)، ولكن الكل يحتاج إلى اهتمام، و المسيح مات عن الكل، والله ائتمننا على القطيع كله بما فيه المريض والأبلق والعاجز والفقير والصغير: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْمَعُ الظَّالِعَةَ، وَأَضُمُّ الْمَطْرُودَةَ، وَالَّتِي أَضْرَرْتُ بِهَا» (ميخا٤: ٦).

كما أن المغمور يمكن أن يصبح متميّزًا ويضطلع بدور قيادي فى الحياة، كذلك فإن الذكي والمثقف واللطيف الهادئ يمكن لأي شخص أن يخدمه، وأما الضعيف فهو الذي يحتاج إلى

جهد وتعب. قال أحد الآباء مخاطبًا الله يستعطفه: "إن كنت ترحم البار فليس هذا بعجيب، ولكن أن تظهر قوتك فيّ أنا الضعيف فهذا هو العجب."

أما من جهة الأعداد التى نخدمها، فلدينا في الخدمة أربعة أرقام أو نِسَبْ نتعامل معها..

١) الرقم الفعلي (التعداد الحقيقي).
٢) الرقم المدوَّن (الذي استطعنا الحصول عليه).
٣) الرقم الذي يحضر (شبه منتظم).
٤) الرقم الذي يستفيد (وهو الذي غالبًا ما يستمرّ في الكنيسة)

الملاحَظ أن أعلى نسبة حضور تكون في المرحلة الابتدائية (مائتا طفل مثلاً)، فإذا ما صعدوا إلى الإعدادي يتناقصون (مائة وخمسون مثلاً)، وفي الثانوي يصل العدد إلى مائة، فإذا ما

التحقوا بالجامعة هبط العدد إلى خمسين، وبعد التخرّج إلى خمسة وعشرين، وربما إذا تزوّجوا كانت الكنيسة والعبادة هي أول ما يتنازلون عنه، فقد اعتدنا سماع عبارة: "الخادمة الفلانية لم تعد تأتِ لأنها تزوجت!!" وكأنها وجدت ما يشغلها بعد أن كانت تتسلّى بالخدمة، وهذا يعني ببساطة شديدة أنها لم تكن متجذّرة في الكنيسة ومتأصّلة فيها.. إلا إذا كانت تحتاج إلى شهور تنظّم فيها حياتها الجديدة قبل عودتها.

لذلك فإن النسبة التي تستمر في كل المراحل هي في الواقع التي تتحوّل إلى خدّام وخادمات ورعاه في الكنيسة بمختلف درجات الرعاية وأشكالها، إذ أنه من الطبيعي أن يكون الشخص المرشَّح للالتحاق بدورات إعداد الخدام مشهودًا له بأنه ملازم للكنيسة منذ صغره.. وإذا ما واصل التزامه وملازمته للكنيسة جعله ذلك من المرشحين للكهنوت والرهبنة والتكريس.

١) الرقم الحقيقى (الفعلي):

«ضَلَّتْ غَنَمِي فِي كُلِّ الْجِبَالِ، وَعَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ. تَشَتَّتَتْ غَنَمِي وَلَمْ يَكُنْ مَنْ يَسْأَلُ أَوْ يُفَتِّشُ.»

(حزقيال ٣٤: ٦)

وهو عدد المخدومين المتواجدين في مربّع الكنيسة، أو المنطقة أو القرية التي تخدمها الكنيسة، مع ملاحظة أن بعض الكنائس في بعض الأماكن تصبح مثل أبراج الحمام!! بمعنى أن يتنقل البعض بين الكنائس بغضّ النظر عن موقع الكنيسة من السكن. والعدد الفعلي مرتبط بالمساحة المحدَّدة من قِبَل رئاسة الكنيسة، لترعى الكنيسة المقيمين فيها، تحدّد بالمنطقة السكنية أو الأحياء أو الشوارع، وأحيانًا تكون المساحات شاسعة إمّا لقلّة الكنائس أو لقلّة عدد المسيحيين أنفسهم، ووجودهم متفرّقين على مسافات متباعدة.. ولكنه كخادم مهتم أن يجمع الكل، وليس شرطًا أن يجمعهم فى مكان واحد، بل أن يجمعهم للمسيح ومعه: «لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يوحنا ١١: ٥٢).

إن الحصول على الرقم الحقيقي يحتاج إلى برامج عضوية كنسية متطورة، وهي متوافرة الآن في أكثر من مكان. في المرة الأولى يحتاج المكان إلى تغطية كاملة في أسرع وقت ممكن، على أن يتم تحديثه البيانات مرة كل عام إن أمكن، ولابد من الاعتراف هنا بأن بعض الكنائس في مصر – لا سيما في منطقة فيها كثافة مسيحية عالية مثل شبرا ومدينة نصر، والكثير من البلاد في صعيد مصر – قد يتجاوز عدد أفراد الرعية فيها العشرة آلاف، وكثيرًا ما يصل إلى عشرين ألفًا، مما يصعّب المهمة، وبالتالي يستلزم عددًا أكبر من الآباء الكهنة والخدام.. و قد يحتاج الأمر إلى تكليف بعض من الخدام والخادمات بالعمل في العضوية الكنسية بعد تدريبهم وتأهيلهم لذلك..

والسبب في ضرورة المراجعة والتحديث، هو تغيير البعض لمساكنهم والانتقال إلى أماكن أخرى، مقابل مجيء البعض الآخر حديثًا إلى المنطقة.. وهناك الذي أُعثَر ولم يعد يحضر، كما أن هناك من ترك الكنيسة إلى كنائس أخرى غير أرثوذكسية، أو ربما ذهب إلى أبعد من ذلك فانقاد إلى الإلحاد مثلاً.. وهكذا

تكون هذه القوائم أشبه بما طلبه الرب من موسى النبي قائلاً: «وَتَأْخُذُ حَجَرَيْ جَزْعٍ وَتُنَقِّشُ عَلَيْهِمَا أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خروج ٢٨: ٩).

في بعض المناطق يكلّفون خادمًا لمتابعة جميع المسيحيين في الشارع الذي يقطن به (مثل شيخ الحارة قديمًا)، وهذا ضروري جدًا في المناطق العشوائية على وجه الخصوص، حيث أغلب الساكنين وافدين من أماكن أخرى، ويمكن أن يُطلق على هذا الشخص "الإشبين" أو "العرّاب"، كما كان معروفًا فى مراحل سابقة في الكنيسة. والإشبين بدوره يبلغ الكنيسة بأية تطورات: شخص وُلد، آخر غادر، وثالث جاء حديثًا، ورابع انتقل.. الخ، وهكذا يصبح عين الأسقف أو الكاهن، وبالتالي لا يقع أو يتوه شخص دون اهتمام أو متابعة من الكنيسة: «وَأُخْرِجُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ، وَأَجْمَعُكُمْ مِنَ الأَرَاضِي الَّتِي تَفَرَّقْتُمْ فِيهَا بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وَبِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ» (حزقيال ٢٠: ٣٤، ٤١).

بل إن الخادم مطالب بأن يأتي بالكثيرين إلى حضن المسيح وليس في إطار الأرقام و النِسَب المذكورة فقط، وذلك من خلال

شهادته للمسيح، وسعيه الدائب في اجتذاب البعيدين: «وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ١٦)، وعليه ألاّ يظل محصورًا في الأرقام، حتى في أكبرها وهو العدد الفعلي في المنطقة، بل هناك رُكَب ما تزال تجثو للبعل، وهناك من يريد أو يحتاج أن تعبر إليه وتنقذه، يقول سفر الأعمال عن خدمة الرسل في البداية:«وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو، وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ [المؤمنين] يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ...» (أعمال ٦: ٧)، راجع أيضًا (أعمال ١١: ٢١ و١٦: ٥).

٢) الرقم المدوَّن في السجلات:

«هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا»

(إشعياء ٤٩ : ١٦)

هو الرقم الذي حصلنا عليه من العضوية الكنسية، وهو أقل بالطبع من الرقم الفعلي، لأن تغيّر الرقم الفعلي مُستمر كما سبق القول، هذا إذا كان قد حُصِر أصلاً، فقد توجد أسماء لم يتم

التوصل إليها بعد، وهكذا تصبح أسماء المخدومين منقوشة عندنا: «هُـوَذَا عَلَـى كَفَّـيَّ نَقَشْـتُكِ. أَسْـوَارُكِ أَمَـامِي دَائِمًـا» (إشعياء ٤٩ : ١٦)

ويلاحظ أنه عند قدوم خادم جديد في المرحلة، يتم تسليمه قائمة بأسماء المخدومين، وقد يكتشف أن المخدومين أنفسهم الذين تسلّمهم غير مطابقين للقائمة، وأن العدد الكلّي بشكل عام أقل مما هو مدوّن.. ويكتشف بالتالي أن هناك أشخاصًا مسجّلين منذ سنوات ويتم تسليمهم (ورقيًا فقط) من خادم إلى آخر عامًا بعد عام، في حين أنهم لم يأتوا إلى الكنيسة لمدة طويلة، وقد يُضاف أسماء إلى الأسماء مع مرور الوقت، دون غربلة هذه الأسماء وعمل مراجعة عليها (مجرد قوائم من الأسماء)..

والحقيقة أن كلا الرقمين – الفعلي والمدون في السجلات – يمثّلان مشكلة كبيرة في الخدمة سواء بالنسبة للأب الكاهن والذي بسبب الزحام الشديد وكثرة متطلّبات الشعب يكتفي بتلبية احتياج من يطلبه أو يلجأ إلى الكنيسة طلبًا للمساعدة، بينما لا يتبقّى له وقت كافٍ للبحث عن الآخرين، أو بالنسبة للخدام أنفسهم والذين

يهتمون بالذين يحضرون بأنفسهم، ويوظّفون بالتالي طاقاتهم وبرامجهم لخدمة هؤلاء، وقد يدفعهم ذلك إلى الدفاع عن أنفسهم في عدم البحث عن الغائبين، بأنه يكفينا الاهتمام بالحاضرين وعندئذ نبحث عن الآخرين!.. ولكن الغائب يجب أن يكون له نصيب كبير من الاهتمام فهو محفور في قلوبنا ومنقوش على أكفنا، مشغولون به ولن نهدأ أو ننام طالما كان بالخارج.

الخادم مثل الأم التي وإن كان لها عشرة أولاد، خرجوا ذات ليلة بعضهم للتنزّه والآخر للعمل، فهي لا يمكن بحال من الأحوال أن تكتفي بعودة ستة منهم إلى البيت حتى تنام قريرة العين (باعتبار أن عدد الذين عادوا إلى المنزل تخطّت نسبتهم الخمسين بالمائة!!)، بل أنها لن تهنأ ولن تنام حتى ينضمّ الباقون ليكون الجميع في حضنها، ولو اُضطُرَّت للسهر طوال الليل وحتى الهزيع الرابع «لأَنِّي حَافِظُكُمْ فِي قَلْبِي» (فيلبي ١: ٧). كما أن حبّها ليس موزعًا على العشرة بالتساوي فقط، بل أن حبها كله تهبه لكل منهم على حدة، أي أن الابن الواحد ليس نصيبه عُشر محبتها، بل كل الحب..

وعندما يطمئنّا السيد المسيح وهو الراعي الصالح (الراعي المثالي وراعي الرعاة) قائلاً: «لاَ تَخَفْ، أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ...» (لو١٢قا: ٣٢)، فالمقصود بالقطيع الصغير هنا أن جميع أفراده معروفون لديه، وليس فيهم من هو منسيّ أو غير مهم عنده، ومهما كان العدد كبيرًا فهو قليل بالنسبة له، من فرط الاهتمام بكل أفراده؛ وهو صغير أيضًا بمعني صغير في السن، وصغير السن دائمًا ما يحظى بالتدليل والاهتمام الزائد. إذًا فالقطيع قليل من حيث العدد، وصغير من حيث أن أفراده أطفال محبوبون لديه. جدير بالذكر أن كلمة "كوجي" ⲕⲟⲩϫⲓ القبطية والتي تعني: صغير، تعني أيضًا: قليل. فإن كان الله يعرف جميع الكواكب والنجوم والمجرّات وهي لا تُحصى ولا تقع تحت حصر، بل ويعطيها أسماء (أي يميّز إحداها عن الأخرى)، فكم بالحري الإنسان وهو تاج خليقته، والخليقة المدللة لديه جدًا؟ «يُحْصِي عَدَدَ الْكَوَاكِبِ. يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ» (مزمور ١٤٧: ٤): «ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ» (إشعياء ٤٠: ٢٦). ولعل هذا هو المقصود

أيضًا في قول السيد المسيح عن الراعي الصالح: «فَيَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا» (يوحنا ١٠: ٣)، يعرف كلاً منهم، وكل واحد له تاريخ وقصص وخبرة معه (مثل راعي الخراف أو البقر الذي يعرف كل أفراد قطيعة بمشاكله وأمراضه ونفسيته أحيانًا)..

٣) الرقم الذي يحضر:

«الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ، وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ»
(يوحنا ١٧: ١٢)

هناك عوامل دفع وعوامل جذب بالنسبة للمخدومين، أمّا من جهة **عوامل الدفع**، فهي العوامل التي تأتي بالمخدوم من بيته إلى الكنيسة، من هذه العوامل: افتقاد الخادم، إلحاح الأسرة، تشجيع الأصدقاء (الشلّة – الرفقة، لوقا ٢: ٤٤)، ومرّات الفراغ أو حب الاستطلاع، وأحيانًا الإعلان عن حفلة أو عرض مسرحي، أو تكريم وهدايا، أو الرياضة والألعاب والترفيه بشكل عام.. ولا يهمّنا كثيرًا إذا ما كانت الدوافع روحية أو غير روحية، ولكن المهم أنه أتى بنفسه (برجليه) راضيًا قانعًا، دخل شباك المسيح،

ليبدأ دورنا نحن فنمسك بيده متسلّمين إياه من أعتاب الكنيسة لنتدرّج به حتى يمسك بيدي المسيح.. وهو ما نسمّيه **بعوامل الجذب**، وهي حلاوة الطريق والشبع الروحي الذي يحصل عليه في الكنيسة، فقد أتى ليلعب، أو ليتقابل مع هذا أو ذاك من أصدقائه، ربما بدأ أمام باب الكنيسة من الخارج، ثم تحرّك إلى داخل فناء الكنيسة، ومرّة بعد الأخرى دخل على حياء إلى الصفوف الأخيرة من الكنيسة، وها هي الأمور تتغيّر يومًا بعد يوم ليصبح خادمًا غيورًا محبًّا، وقد انقطعت الخيوط التي كانت تربطه بالماضي..

لقد تزوّج بولس البسيط مرتين، فلمّا خانته زوجته الثانية ترك مسكنه وخرج إلى غير مكان محدَّد أو هدف سابق، وبينما يمشي لا يلوي على شيء، ساقته قدماه إلى مغارة القديس أنطونيوس والذي تلقّاه بالفرح، وأبقاه معه لبعض الوقت، ثمّ جعله يتذوّق حلاوة المسيح من خلال الحياة الرهبانية، وفي زمن قصير تحول إلى راهب مجاهد بل وأصبح واحدًا من مشاهير الرهبنة، وعُرف باسم "المحارب العجوز".

كثيرون أتوا إلى الكنيسة بدعوة من أصدقائهم في الإعـــدادي للاشتراك في اللعب أو حتى المشاهدة، وهناك وجدوا من يرحِّب بهم ببشاشة، ويتبادل معهم أرقام التليفونات ويهبهم بعض الاهتمام الصادق، فتعلّقوا بالكنيسة، وقد يتعلّق بالخادم نفسه فـــي البدايـــة، ورغم المحاذير الكثيرة تجاه ذلك إلاّ أن المخدوم قد يحب المسيح من خلال الخادم، وقد يستجيب له ويطيع لأجل محبتـــه للخـــادم، وفي المقابل يمتنع عن بعض السلبيات بسبب حبه لخادمه، وقـــد يستعطفه الخادم فيقول: 'افعل كذا لأجلي!' أو: 'لا تفعـــل ذلـــك لأجل خاطري!!' وهكذا... على أنه قد نُصِح كل خادم – لا سيما في بداية خدمته – بألاّ يستبقي المخدوم لنفسه، وألاّ يكـــون هـــو المحور بل المسيح، وبذلك يمكن التغاضي عن تعلّـــق المخـــدوم بخادمه في المراحل الأولى فقط، وهنـــا نتـــذكر قـــول القـــديس أغسطينوس: "كيف يخلص بك إلاّ ذاك الذي يحبك".

وكما يكوّن الطفل الصغير الفكرة الأولى والصورة الأولـــى عن المسيح من خلال الأب والأم (ولذلك يقـــول الطفـــل: بابـــا يسوع، وماما العدرا)، هكذا من المحتمـــل أن يُكَـــوِّن المخـــدوم

الصورة الأولى عن المسيح من خلال الخادم، وكما يجب على الأب والأم عدم استغلال ذلك لصالحهما الشخصي، هكذا الخادم أيضًا..

وعن المجد الذي يجب أن يعطيه الخادم لله، عليه أن يكون مجرد مَعْبَر جيّد إلى الله، قويًا لا يخور تحت العابرين فوقه، ولا يتسبّب بالتالي في هلاكهم إذ هو مؤتَمَن من قبل الله على توصيلهم إليه، لا شكّ أن الله هو العامل في الكل: في الخادم والمخدوم والخدمة، ولكن على كل من الخادم والمخدوم أن يؤديي دورهما بأمانه، ومادام المخدوم صغيرًا وضعيفًا (مثل الغنمة المسكينة) فإن مسئولية كبيرة تقع على عاتق الخادم.

٤) الرقم الذي يستفيد:

«الرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي.»
(مزمور ٢٣: ١، ٢)

وهو الرقم المرجَّح أن يستمر، ومنه يأتي الخدّام والكهنة والرعاة.. على أنه لكي نحتفظ بالمخدوم (لحساب المسيح طبعًا) علينا أن نشبعه، وكما تستطيع الأم بمهارة شديدة أن تغذّي طفلها وتضمن الدسم له، ولكن من خلال الإغراء والمُحسِّنات التي يعشقها ويميل إليها، هكذا الخادم عليه بالصياغة الجيدة ووسائل الإيضاح، على ألاَ ينسي أن يجعل المخدوم مشاركًا لا متلقّيًا فقط.

ونقرأ عدة مرات في البشائر الأربع كيف كان السيد المسيح يبهر الجموع فكانوا يتركون بيوتهم وأعمالهم ويبيتون معه في الخلاء بسبب أنه أشبع احتياجهم: «فَلَمَّا سَمِعَ الْجُمُوعُ بُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ» (متى ٢٢: ٣٣). وعند شفاء المفلوج كان الإبهار على أشده: «حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: 'مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!'» (مرقس ٢: ١٢). ونقرأ كثيرًا كيف كانت الجموع تزحم السيد المسيح وهو سائر (مرقس ٥: ٢٤، ٣١؛ لوقا ٨: ٤٢، ٤٥)، مما كان يجعله أحيانًا يجلس في السفينة بينما الجموع على الشاطئ تسمعه (مرقس ٣: ٩)، ففي بعض المرات كان الناس يدوس بعضهم بعضًا من شدة الزحام حوله: «وَفِي أَثْنَاءِ ذلِكَ، إِذِ

اجْتَمَعَ رَبَوَاتُ الشَّعْبِ (عشرات الآلاف)، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَدُوسُ بَعْضًا» (لوقا ١٢: ١). كانت الجموع مثل غنم مشتتة وحالما رأت راعي نفوسها أقبلت إليه بجوعها وعطشها وآلامها: «لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا» (بطرس الأولى ٢: ٢٥).

هكذا يصبح الخادم الحار الأمين جاذبًا للبعيدين مسدّدًا – من قِبَل الرب – لاحتياجات رعيته. فالخادم متي كان حارًا وممتلئًا يجتذب الكثيرين، ولا يقف الأمر عند حدّ الأرقام المذكورة.. فقد كان المسيح أينما يتحرك تتبعه جموع كثيرة (متى ٤: ٢٥ و٨: ١ و١٢: ١٥ و١٩: ٢). فحالما يسمع المخدوم عن مكان أو شخص يمكن من خلاله أن يشبع ويتعزّى فإنه يمضي إليه ولو تحمل المشقة في سبيل ذلك: «أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ.» (نشيد ١: ٧).

ولكي نضمن استمرار المخدومين علينا الاهتمام باحتياجاتهم، ثم البحث عن الطرق التي نستطيع من خلالها تقديم هذه الاحتياجات بشكل مقبول يتناسب مع أعمارهم، كما يتوجّب

علينا إقامة جسور من الحب والثقة فيما بيننا وبينهم، ومع تكوين رصيد من هذا الحب فإن هذا الرصيد سوف يسمح بالعتاب أو العقاب أحيانًا.

من الضروري أيضًا أن تكون هناك متابعة للمخدوم سواء من جهة الافتقاد بصوره المتعددة (ميداني أو تليفوني أو من خلال زملائه هو، أو الرسائل القصيرة.. وغيرها)، كذلك من خلال التواجد في حياته عند الاحتياج (أفراح، أحزان، مواسم امتحانات، وأيضًا عند الاحتياج إلى معونة خاصة.. الخ)، ويا حبّذا لو استطاع الخادم تكوين علاقة مع أسرة المخدوم ولكن لحساب المخدوم وليس لحساب الأسرة!! حتى لا يقلق المخدوم من هذه العلاقة ويتصور أن الطرفين يخطّطان له.. ومن ثَمّ تتأثّر علاقته بالخادم. الأمر إذًا يحتاج إلى حكمة، فإنه من الأمور التي تهين المخدوم وتضايقه أن يشعر أنه مستَهدَف من الخادم..

الخادم هو رسول الفرح.. يحمل البشارة المفرحة بأن الله يحبنا، مات لأجلنا، والآن هو يجلس في يمين العظمة، حيث أعد لنا مكانًا لنحيا معه هناك، وحتى ذلك الوقت فهو معنا هنا يرافقنا

في حياتنا ويدفع عنا الشر، فقد جاء ليهب لنا حياة وليكون لنا أفضل «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يوحنا ١٠: ١٠).

ويرد في سيرة القديس غريغوريوس العجائبي أنه لما رُسم أسقفًا على قيصرية الجديدة سنة ٢٤٤م لم يكن بها سوى سبعة عشر مسيحيًا، ولما تنيح سنة ٢٧٠م لم يكن بها سوي سبعة عشر وثنيًا!! وبالطبع فإنه لم يتذمّر لأنه رُسم أسقفًا على هذا العدد القليل، كما لم تنظر الكنيسة وقتها إلى هذا العدد باعتباره لا يحتاج إلى أسقف خاص، ولكن رُسم القديس غريغوريوس أسقفًا ليضمّ إلى الكنيسة الكثيرين (تعيّد له الكنيسة في ٢١ هاتور)[1].

«وَآخُذُكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ»

(حزقيال ٣٦: ٢٤ و٣٧: ٢١)

---

[1] في فيلم من أروع الأفلام التي أُنتجت في هذا الإطار، فيلم: *The keys of the kingdom* للمخرج المتميز *Gregory Pech* يرد في ذلك الفيلم أن الأب الذي بشّر بالمسيح في إحدى مدن الصين لم يجد من يستقبله أو يرحّب به عند وصوله، وبعد سنوات وعندما كان يغادر المدينة كان السكان بأسرهم عند الشاطيء يودعونه.